د . ابراهيم ابو لغد

السيطرة الصهيونية على الدراسات العربية في اميركا

للدراسات العربية في اميركا تاريخ طويل ومعقد يمتد الى اواخر القرن التاسع عشر عندما بدأت بعض جامعات اميركا تعليم اللغة العربية لمن اراد التخصص في الدراسات الدينية المسيحية واليهودية ، او دراسات المنطقة العربية في التاريخ القديم والوسيط . وكانت اللغة العربية انذاك جزءا او امتدادا للدراسات السامية التي انتشرت قبلها لمعرفة الجذور التاريخية للنصرانية في اطارها اليهودي لفلسطين . فكانت نتيجة لذلك جزءا او امتدادا لتدريس اللغة العبرية القديمة والتراث العبري لفلسطين .

ومن هذه البداية الخاطئة ، ازداد تدريس اللغة العربية والتاريخ العربي ليعين المؤرخ الاوروبي على فهم التاريخ الاوروبي الوسيط حيث التقى العرب باوروبا حربا وسلما ، الا ان الاهتمام الحقيقي بالدراسات العربية كان مبعثه اصلا ذلك الحقد الذي ورثه الانسان الاوروبي ـ الاميركي من تاريخه نحو الحضارة العربية والاسلامية التي اضاءت القرون الوسطى المظلمة ، فكانت محاولته هذه للتسلح بسلاح يمكنه من التقليل من اهمية هذه الحضارة وليوضح اعتمادها على الحضارات الاوروبية السابقة واعتماد الاسلام على النصرانية واليهودية ظنا منه انه عن هذا الفهم الخاطىء سيحرم الحضارة العربية والاسلامية اصالتها .

وفي الكثير من الحالات كان المسيطرون على توجيه الثقافة الاميركية التي وجهت جهدها للدراسات العربية يتشكلون من طرفين مرتبطين ، فاما انهم اساتذة اللاهوت المقارن ، وهم من اليهود او المسيحيين الذين ارتبطوا بالدراسات اللاهوتية ، او من المبشرين المسيحيين الذين كانوا قد قضوا فترة معينة من الزمن في بقعة عربية حيث تعلموا اللغة العربية اثناء قيامهم بمهماتهم التبشيرية . وكما ارتبط المبشر المسيحي الاوروبي بحكوماته الاستعمارية التي ارادت السيطرة على المنطقة العربية ماديا ، ارتبط المبشر الاميركي بصاحبه الاوروبي وبمجالس التبشير الاميركية المختلفة التي استمدت تمونها من شركات وفئات كانت تأمل في تحويل وجهة العرب الروحية والثقافية .

وكان لهذه البداية السيئة للدراسات العربية في اميركا اثار سيئة من حيث الانتاج الفكري ، اذ ان الكتب والدراسات التي صدرت عن المؤسسات الاميركية كان معظمها تافها علميا ، حاقدا يسيء الى العرب في تاريخهم وواقعهم .

الا انه بمرور الزمن تحول وضع اميركا نفسها ، وتغيرت مكانتها في العالم ، وبازدياد المصالح التجارية الاميركية وتوسيع الاقتصاد الاميركي تدريجيا ، وازدياد القوة العسكرية ، ازدادت هيمنة اميركا على العوالم الاخرى . وتنبه المسؤولون في اميركا الى ضرورة ايجاد المتخصصين في امور العرب وواقعهم ، وظهرت الحاجة الى هؤلاء بوضوح ، خاصة اثناء الحرب العالمية الثانية وبعدها .

وكان هذا التطور في المصالح الاميركية والهيمنة الاميركية الدافع الاساسي للدعم المادي الحكومي للجامعات الاميركية لتكثيف الدراسات العربية ورعايتها . ونشأ اثر ذلك ، وفي السنوات الاولى التي تلت الحرب العالمية الثانية ، معظم مراكز الدراسات الشرق اوسطية والتي احتوت تدريس اللغة العربية وتاريخ العرب وواقعهم المعاصر . وكان ان تثقف الكثيرون من الاميركيين وتعلموا اللغة العربية وساهموا في البحوث والدراسات ، فكان منهم من انخرط بالشركات النفطية باقسام « العلاقات الحكومية والعامة » وانخرط آخرون في السلك الدبلوماسي ووزارة الخارجية الاميركية ، واخرون التحقوا باجهزة الامن القومي كمتخصصين في امور العرب ، والقلة اتجهوا الى التدريس الجامعي مع تجنيد بعضهم دوريا للقيام ببحوث ودراسات تعتمدها اجهزة الامن في محاولاتها الدؤوبة للمحافظة على الهيمنة الاميركية في المنطقة العربية ولضرب الحركة الوطنية التحررية . وفي الكثير من الحالات يعمل هؤلاء المدرسون كخبراء لاجهزة الامن الحكومية فيدلون بالنصائح المستندة الى خبراتهم الميدانية واتصالاتهم الكثيرة بالعرب لاحتواء الحركات التحررية واستمرارية التجزئة العربية .

وقد اكتشفت الشركات الاميركية اهمية هذا التخصص في الامور العربية ، فقامت الهيئات والمؤسسات الخاصة بدعم الدراسات العربية في جامعات اميركا فاغدقت مؤسسة فورد مثلا الاموال على هذه المراكز لتشجيع البحوث والدراسات الحديثة التي تشكل خلفية هامة جادة للتخطيط وتنفيذ السياسة الاميركية في المنطقة .

وكان الرعيل الاول من هؤلاء المتخصصين في اكثر الحالات من مسيحيي اميركا . ورغم تحيزهم الواضح للحركات الرجعية العربية ولابقاء النفوذ الغربي في المنطقة العربية ، فان قسما منهم اشار بضرورة تاييد الفلسطينيين والعرب اثر تفاقم الصراع الفلسطيني ـ الصهيوني ، والصراع العربي ـ الاسرائيلي الذي تلاه . وتنبه لهذا الانقسام في وجهة النظر السياسية ، ولضعف الوجود اليهودي الصهيوني في مراكز الدراسات الشرق اوسطية كبار الصهيونيين

فشجعوا ابناءهم في الخمسينات على الالتحاق بهذه المراكز . وبعد بضع سنوات تمكن هؤلاء من اكتساب المقدرة والمهارات الضرورية لاجراء البحوث والدراسات الميدانية لتعيين المصالح الاميركية والاسرائيلية بآن واحد . وما كاد عقد الستينات حتى يبدأ حتى كان هؤلاء المتخصصون من الصهيونيين في مكان يسمح لهم ببداية السيطرة على الدراسات العربية في جامعات اميركا ، واثر ذلك تشكل ذلك الحلف الصلحي بين المتخصصين في شؤون العرب من صهيوني وغير صهيوني . وهكذا توصل الصهيونيون الى مراكز القيادة وشكلوا بذلك مراكز قومية هامة لتوجيه الاعلام الاميركي ولتوجيه الثقافة الاميركية فيما يتعلق بالتاريخ العربي واجتماعياته وسياسته . فاصبحت هذه المراكز في جامعات اميركا كبرنستون وشيكاغو وهارفارد وكالفورنيا ادوات صهيونية وقواعد للتجسس الاسرائيلي الاميركي بآن واحد . ويحسن بنا ان نذكر ان مراكز الدراسات الشرق اوسطية لا يشرف عليها الاساتذة الصهيونيين فقط ، بل في الكثير من الاحيان يستعين هؤلاء باساتذة الجامعة العبرية الذين يعملون في المخابرات الاسرائيلية فيدعون لقضاء عام او عامين في تدريب المتخصصين الاميركيين بالاضافة الى استيراد اساتذة صهاينة من بريطانيا مثل برنارد لويس وحليفه فايتيكوتس الذي تبناه الاستعمار والصهيونية .

وقد كان لهذه الهيمنة الصهيونية العلمية على الدراسات العربية في اميركا اثرها الواضح في السيطرة على ما ينشر من دراسات وبحوث ودوريات وتنظيمات مهنية . فقد اصدر هؤلاء عددا كبيرا من الكتب والدراسات التي يظهر للجاهل تقيدها بالعلمية الا انها تشوه التاريخ والواقع العربي ، وتسيء الى النضال العربي في سبيل التحرير وتتستر بهذا اللباس العلمي لارسال جواسيس وعملاء لاجهزة الامن الاميركي والاسرائيلي لاجراء دراسات ميدانية في مختلف البلاد العربية . والغريب في الامر حقا ان يجد هؤلاء حلفاء من العرب في ديارهم ، وتفتح الدول العربية لهم المجالات لاجراء هذه الدراسات التجسسية ، وفي بعض الاحيان تسمح الدول العربية بدخول اشخاص عرفوا بعدائهم للعرب وكانوا قد حاربوا في جيوش اسرائيل وقد عملوا في مخابراتها .

وقد ظهر الاثر البالغ للهيمنة الصهيونية على هذه المراكز والدراسات العربية في حرب حزيران ٦٧ وبعده ، اذ قام هؤلاء الاساتذة بالقاء المحاضرات وعقد الندوات العلمية ليثبتوا نوايا العرب العدوانية ضد اسرائيل ولينفوا الوجود الفلسطيني وعدم شرعية مطالبهم ، وبينما نشط الصهيونيون في اعمالهم واقوالهم وكتاباتهم لجأ غير الصهيونيين الى المساعدة او السكوت المطلق الا فيما ندر ، اذ جرؤ نفر قليل من انصار العرب في اميركا على التحدث عن عدوان اسرائيل المستمر في المنطقة العربية .

وبآن واحد تمكن الاساتذة الصهيونيون من السيطرة على المنظمة العلمية الجديدة التي انخرط بها المتخصصون في الامور الشرق اوسطية والتي اطلق عليها « جمعية الدراسات الشرق اوسطية في اميركا الشمالية » ، وكان رئيسها الاول جوستفاف فون جرونيادم الشهير بعدائه الطويل للعرب والفلسطينيين والمسلمين ، وتلاه عدد كبير من الصهيونيين برئاسة المنظمة وادارتها مثل برنار من كاليفورنيا والذي يعمل حاليا في الجامعة العربية ، وانتهى بهم المطاف الى تولية الاستاذ برنارد بايندر من جامعة شيكاغو الذي كان قد حارب في الجيش الاسرائيلي والذي اسره الجيش العربي في الاردن . ونتيجة لهذه السيطرة على مراكز القوى العلمية وتحالف الصهيونية مع مصالح الامبريالية الاميركية ، تمكن هؤلاء من الهيمنة على مجلس العلوم الاجتماعية الذي يستمد امواله من مؤسسة فورد والذي يشرف على المنح المادية للاساتذة والباحثين والذي رئسه لمدة سنوات الصهيوني الاميركي المعروف الاستاذ مافين زونيس الذي يدرس في جامعة شيكاغو. ولهذا المجلس اهمية كبرى في توجيه الدراسات والبحوث التي يعتقد المسؤولون باهميتها واولويتها بالنسبة الى المصالح الامبريالية الاميركية الاسرائيلية. وقد اصدر هذا المجلس مذكرة خاصة يدعو فيها المتخصصين الى تدارس اولويات البحوث العلمية في ضوء السلام المقبل في المنطقة العربية الذي يعتمد على الانفتاح العربي على اميركا والذي سيميز المستقبل اثر الانبطاح السياسي . وتقوم مؤسسة فورد نيابة عن الاجهزة السياسية الاميركية بتقديم الدعم المادي لهذا المجلس كما تقوم بدعم جمعية الدراسات الشرق اوسطية لتوجيه الدراسات والبحوث لخدمة المصالح التجارية ـ السياسية الاميركية وبالتالي ابقاء المنطقة العربية في ظل الهيمنة الاميركية . ولا يخفى ان هذا التطور ان اتخذ طريقة التوقع ، سيفتح المجال على مصراعيه لعلماء اسرائيل الذين يعملون في اجهزة المخابرات الاسرائيلية للتوصل عن طريق مراكز الدراسات الشرق اوسطية في اميركا الى التوجه نحو الدول العربية واجراء البحوث والدراسات اللازمة للامن الاسرائيلي .

اما الخط الاخر والذي اصبح واضحا في السنوات الاخيرة فهو توقع بعض هذه المراكز الحصول على دعم مادي عربي تحت ستار نشر الثقافة العربية في اميركا . وقد كشف المسؤولون في بعض جامعات اميركا اتصالاتهم ببعض الاوساط العربية الخليجية وبدأوا يلتقون رسميا بحكومات الخليج لاستدرار هذه الاموال العربية . واستنادا الى بعض النتائج الاولية بهذه الاتصالات ، يجري الان مجلس العلوم الاجتماعية برئاسة الصهيوني زونيس اتصالات اخرى على مستويات عليا . وتلعب سفارات اميركا في المنطقة دورا هاما كما يلعب بعض المثقفين من اساتذة العرب ، وغرضها سلب هذه الاموال العربية لدعم البحوث التي يقوم المتخصصون الاميركيون والذين يرتبطون بشكل او بآخر باجهزة الامن والسياسة الاميركية . ويجدر ان نذكر ان بعض الدول العربية قد قدمت مساعدات مالية ضخمة لجامعة هارفارد مثلا حيث يعمل نادات سفران الاستاذ الاسرائيلي وضابط المخابرات سابقا واحد مستشاري جولدا ماير وهنري كيسنجر . وقد ابدى الاميركيون استعدادهم لتأسيس مراكز دراسات « خليجية » هدفها دعم الدفاع الاميركي في المنطقة ولتكون واجهة شرعية لاستدرار اموال الخليج العربي .

هناك حقائق مذهلة كثيرة يحسن بالمسؤولين العرب ان يتابعوها ليتمكنوا من التمييز بين العلم الشرعي النزيه الذي يقوم به بعض الاساتذة الاميركيين وذلك الذي يقوم به الطلبة والاساتذة بدافع الامن والسيطرة الاميركية . ويجدر بالمسؤولين ان لا يستخدموا الثروة العربية في خدمة المصالح الاميركية الاسرائيلية وان يفحصوا ما يطلب اليهم من دعم مادي او معنوي فحصا دقيقا امينا ، والا يستخدم المال العربي لاضعاف العرب وتشويه سمعتهم والاساءة اليهم .

صدر حديثا

فظاعات بلباس الميدان

للشاعر

الياس لحود

منشورات دار الآداب